

من أسرار اللبَّابة العربيَّة

الدكتور عبد الكريم اليافي

توطئة

يخيّل إلينا أن الناس أصبحوا في طوفان مادي متحمّ لا يدع لحميله نهزة للتأمل . وبدلاً من أن يأتي نوح جديد يصنع الفلك بأعين ربّه ووحيه ويسلك فيها من كل زوجين اثنين تلوح لنا القيم الرفيعة من مروءة ونسفة وإيثار ونصرة للمظلومين ومكارم أخلاق وتراث مؤثّل كأنها انزوت في فلك خيالي يمخر في فلك العمورة ويبحث عن جوديّ مكين يستوي عليه فلا يكاد يجده .

في تدفع الأنيّ الغامر رجعت الى ماضي التراث العربي الاسلامي المستند الى نور الحرف ، وأردت أن أعرض تأمل فريق من المفكرين لهذه النورانية . ربما كان في التأمل نصيب من الانحياز ، ولكن فيه نصيباً أكبر من المحبة والسمو ، كما أن فيه قسطاً من الطرافة والتلود .

وليس ما أعرضه فيما يلي إلا قطرة ندى شفافة في رياض الحروف العربية .

من أكبر الكشوف العلمية اللغوية قاطبة تمييز الحروف في الاصوات المنطوق بها والانتقال من إدراك مقاطع الأصوات الكثيرة الزاخرة المختلطة الى إدراك الحروف المتميّزة المنفصلة وحصرها في عدد محدود

ثم الى التعبير عنها برموز هي الأبجدية * هذه الرموز هي الاساس التي
يستند إليها الفكر في تقدمه علما أو فنا أو غير ذلك *

ألا إن الرموز دليل صدق على المعنى المغيّب في الفؤاد
ولولا الرمز كان القول لغواً وأدى العالمين إلى الفساد

هذا الانتقال من سديم الأصوات وعمائها الى بريق الحروف
وتلمّحها والرمز لها إنما حصل لأول مرة في بلادنا العربية * وهو يتضمن
الوصول الى معرفة واسعة ووعي حصيلف وسمع موسيقي مرفه وحس
علمي دقيق * والذين سبقوا إليه سهلوا المعرفة ، ويسروا الكتابة ،
وأثلوا التراث الإنساني *

هذا وقد أدلى علماء العربية القدامى باعتباراتهم الجيدة في نشأة
الأبجدية العربية * ونشأ بعد ذلك في ماضي التراث العربي الاسلامي
ما يدعى بعلم الحروف وهو أقرب الى فلسفة الحروف وميتافيزيائها *
وهذه بحوث واسعة تحتاج الى دراسات متفهمّة توضح أواخر الاعتبارات
التي تتضمنها ، وتبرز المصادر التي تستند إليها *

نعلم جميعا أن الأبجدية العربية تتألف من ثمانية وعشرين حرفا
موزعة على الألفاظ الثمانية التي تحصرها * وفي أصول هذه الألفاظ
الثمانية ودلالاتها اختلاف كبير *

يرى بعضهم أنها أسماء ملوك ، ويرى آخرون أنها أسماء شياطين
ويرى فريق ثالث يدرك مكانة النطق الانساني العربي المقدس أنها
ملائكة وكلها عندنا رموز تشير الى شرف الكلمة وأثرها البالغ *

ولا يبعد اعتبار تلك الألفاظ ملائكة بالنظر الى أصل لفظ الملك الذي هو مَلَأَكَ على وزن مفعّل بمعنى الرسالة من فعل لَأَكَ ، وألكني الى فلان أبلغه عني أصله ألكني أو من مألثك بضم اللام من فعل ألثك ولا مفعّل غيره في اللغة بالمعنى ذاته والألوك الرسول والألوكاة الرسالة *

على أن الكلم الطيب الذي تتألف عناصره من تلك الألفاظ تعرج به الملائكة من الأرض الى السماء : « إليه يصعد الكلم الطيب » كما جاء في التنزيل * « وما يعلم جنود ربك إلا هو » *

إن اللغة العربية عند المسلمين لغة مقدسة وحروفها التي ترقم بها مقدسة أيضا * وقد مضى زمن أتذكره في صباي إذا وجد المرء في الطريق كلاما مكتوبا بالعربية رفعه ليضعه في مكان مناسب احتراماً ، وهو في الحقيقة احترام للفكر وللنطق * وليس هذا يبعد من بعض الاعتبارات الشرقية التي تكن احترامها للفكر * فحروف اللغة الصينية كان ينظر اليها الصينيون على أنها مقدسة يلمّثها الناس قديما إن وجدوها لقي في الطريق *



مهنا يكن من شيء فان تأمل المحب وقطر العارف في الأبجدية العربية أفضيا الى نث أسرار واشجة وأواصر مستسرة بين تلك الحروف المقدسة وعالم الأرقام وبعض الاستشرافات الصوفية *

ونحن نريد هنا أن نقصر على بيان هذه الأواصر الخفية والأسرار الواشجة كما جاءت في الاعتبارات القديمة *

لِنَشِيرَ أول الأمر الى أن الأبجدية العربية ربما كانت في البداية تتألف من اثنين وعشرين حرفاً ثم ميّز في الأصوات ستة حروف أخرى ضمت إليها • جاء في القاموس المحيط : « وأبجد الى قرشت - وكلمن رئيسهم - ملوك مدين ، ووضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم • ثم وجدوا بعدهم ثخذ وضظغ فسوها الروادف » •

ولنا على كلام الفيروزابادي أربعة تعليقات :

الأول تألفها المبدئي من اثنين وعشرين حرفاً يجعلها تشبه في ذلك جدتها الفينيقية التي تتألف من اثنين وعشرين حرفاً ، وكذلك الأبجدية النبطية الآرامية والأبجدية العبرية •

الثاني أن هذه الروادف جميعها حاصلة بعد تمييزها بإضافة نقطة فقط في الكتابة الى بعض الحروف السابقة •

الثالث أن علماء اللغة اختلفوا في هذه الألفاظ أعرييات هي أم أعجميات • ولئن اعتبروا بعضها عربياً فقد ذهبوا إلى أن بعضها الآخر أعجمي • وربما أراد من ذهب الى عجمتها أنها ليست من اللغة التي نزل بها القرآن الكريم لا أنها ليست من اللغة السامية التي كانت منتشرة في هذه الأرجاء أي من العربية الأم •

والعجب لبعض أولئك العلماء يرون الضاد والظاء من الخصائص التي تفردت بها العربية ثم يترددون في اعتبار «ضظغ» من الألفاظ العربية •

الرابع اعتبار الفيروزابادي « كلمن » رئيسهم لأن الذي يجمع هذه الألفاظ كلها الكلام • واشتقاقه واشتقاق الكلام من أرومة واحدة • ولقد جاء في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس أن الكاف واللام والميم أصلان أحدهما يدل على نطق مَفْهِمٍ والآخر على جراح •

وعندنا أن الأصل واحد وهو الجرح وذلك كأن الكلمة جرح في الصمت السائد والسكون الشامل غايته التأثير •

نعود الى الأبجدية وكونها تتألف من اثنين وعشرين حرفا ثم أضيف إليها ستة حروف • يتعلق الاعتبار الأول بالجفر الصغير الذي يستعمل ٢٢ حرفا ويتعلق الاعتبار الثاني بالجفر الكبير الذي يعطي كل حرف من الحروف الثمانية والعشرين قيمة عددية • ونستطيع بالتأمل الرياضي الفيثاغوري أن نقول : إن العدد ٢٨ متضمن بصورة من الصور في العدد ٢٢ وذلك أن :

$$١٠ = ٢ + ٨$$

$$\text{و } ٤ = ٢ + ٢$$

ثم إن الأعداد الصحيحة الأربعة الأولى مجموعها ١٠

$$١٠ = ٤ + ٣ + ٢ + ١$$

(١)



لنعرض الآن ما ألمحنا اليه آنفا من وشائج وأواصر بين الاستشرافات الصوفية والارقام والأبجدية العربية •

لقد روي عن الإمام الشافعي أنه لما جاء الى مصر قال : دخلت جامع عمرو فتكلمت فلم يفهمني أحد فنزلت ثم نزلت ثم نزلت • ولذلك لا بد عندنا من الوصف الحسي للتقريب والايصال الى المقصود •

إن العرش الالهي يحيط بالعالمين جميعا فهو العرش المحيط ويتمثل على صورة دائرية في مركزها الروح ويمسك بالعرش ثمانية ملائكة • أربعة منهم على الجهات الأربع • والأربعة الباقون على الجهات

المتوسطة ، أسماء هؤلاء الملائكة الثمانية تتألف بالترتيب العددي من جملة الأبجدية العربية على النحو الآتي :

سعفص	في الشمال الشرقي	أبجد	في الشرق
قرشت	في الشمال الغربي	هوز	في الغرب
ثخذ	في الجنوب الشرقي	حطي	في الشمال
ضظغ	في الجنوب الغربي	كلسن	في الجنوب

أما القيم العددية للحروف في حساب الجمل فهي متداولة مشهورة :

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	
ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ	
٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠	

نلاحظ أن الفئة الأولى في الجهات الأربع الرئيسية (أبجد ، هوز ، حطي ، كلسن) والفئة الثانية المتوسطة (سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ) تتألف حروف كل منهما من نصف عدد الأبجدية :

$$14 = 4 + 3 + 3 + 4 : \text{في الفئة الأولى}$$

$$14 = 3 + 3 + 4 + 4 : \text{في الفئة الثانية}$$

لنأخذ الآن القيم العددية لتلك الأسماء :

$$10 = 4 + 3 + 2 + 1$$

$$18 = 7 + 6 + 5$$

$$\begin{aligned}
 27 &= 10 + 9 + 8 \\
 140 &= 50 + 40 + 30 + 20 \\
 300 &= 90 + 80 + 70 + 60 \\
 1000 &= 400 + 300 + 200 + 100 \\
 1800 &= 700 + 600 + 500 \\
 2700 &= 1000 + 900 + 800
 \end{aligned}$$

إن قيم الأسماء الثلاثة الأخيرة تساوي قيم الأسماء الثلاثة الأولى
 ضرورية بمائة * وهذا واضح إذا لاحظنا أن الأسماء الثلاثة الأولى تحوي
 الأرقام الصحيحة الأولى من ١ الى ١٠ ، وأن الأسماء الثلاثة الأخيرة
 تحوي الأرقام من مائة الى ألف ، وأن كلاً من الأسماء الثلاثة الأخيرة
 والأسماء الثلاثة الأولى يتعاقب عدد حروفها على الشكل : ٣+٣+٤ :
 إن قيمة الفئة الأولى من الأبجدية هي :

$$195 = 140 + 27 + 18 + 10$$

وقيمة الفئة الثانية من الأبجدية هي :

$$5800 = 2700 + 1800 + 1000 + 300$$

مجموع هذه القيم كلها إذاً : $5995 = 5800 + 195$ ، هذا العدد
 ٥٩٩٥ غريب في تناظره * قسمه الاوسط ٩٩ عدد الأسماء الالهية الحسنى *
 وطرفاه ٥٥ مجموع الاعداد الصحيحة العشرة الأولى :

$$55 = 10 + 9 + 8 + 7 + 6 + 5 + 4 + 3 + 2 + 1$$

حيث الرقم الاخير وهو العشرة نجده مقسوما قسمين متساويين *

ثم إن $10 = 5 + 5$ قيمة الاسم الاول أبجد

و $18 = 9 + 9$ قيمة الاسم الثاني هوز

هذا ويمكن الحصول على الرقم ٥٩٩٥ بطريق آخر * وذلك إذا وزعنا الأبجدية على ثلاث زمر ، كل زمرة تتألف من تسعة حروف ثم نلحق بها الحرف الأخير منفصلاً *

مجموع قيم الحروف التسعة الاولى :

$$٤٥٠ = ٩ + ٨ + ٧ + ٦ + ٥ + ٤ + ٣ + ٢ + ١$$

هذا العدد قيمة حروف آدم الذي يمكن أن يرمز به للنوع الانساني :

$$٤٥ = ٤٠ + ٤ + ١$$

الحرف الاول وهو الألف الممدودة يدل عددياً على القطب الغوث في المركز ، والذال يدل في قيمته على الأوتاد الأربعة الموزعين على الأرض في الجهات الأربع ، والميم تشير قيمته الى النجباء الذين عددهم ٤٠ في الاعتبار الصوفية *

مراتب العشرات :

$$٤٥٠ = ٩٠ + ٨٠ + ٧٠ + ٦٠ + ٥٠ + ٤٠ + ٣٠ + ٢٠ + ١٠$$

$$١٠ \times ٤٥$$

$$١٠٠ \times ٤٥$$

مجموع المراتب واحداً وعشرات ومئات ٤٥٠٠ + ٤٥٠ + ٤٥ = ٤٩٩٥ هو جداء ٤٥ × ١١١ + الرقم ١١١ هو الألف منشوراً ثلاث مرات ٤٥ × ١١١ = ٤٩٩٥ ويضاف اليها العدد ١٠٠٠ قيمة الحرف الاخير وهو الغين أول لفظ الغيب ، وهو أيضاً الوحدة من الدرجة الرابعة تختتم الابجدية كما أن الوحدة من الدرجة الاولى تبدوها *

ثم إن مجموع الارقام في العدد ٥٩٩٥ = ٢٨ وهو عدد حروف الابجدية الذي يمثل بذاته قيمتها الكلية *

قال أرسطو منذ القديم : « إن الانسان ذكي لأن له يداً » *
 اذا نظرنا الى راحة اليد اليمنى نجد الرقم ١٨ ، والى راحة اليد اليسرى نجد ٨١ مجموعهما بعدد الأسماء الحسنى (٩٩) *
 حتى إن شكل الأصابع الخمس ليشف عن الطابع الالهي العربي إذ نجدها تؤلف لفظ الجلالة باعتبار الحرف الأخير منه وهو الهاء مكتوباً كتابة مفتوحة *
 هذا الاتساق العجيب في أفق هذه الاعتبارات الفكرية وأمثاله في بقية الآفاق تجعل من تراثنا الماضي كياناً مفرداً يحتاج كل جانب فيه الى التأمل العميق والتمعن المفيد * وكله ينبض بالحب والعرفان ، والتفهم والاتقان *

الى كل ذلك بل قبل كل ذلك مبدأ الحث على تعرف كل علم حديث ، واعتبار كل علم مستجد فرضاً على الابناء يأثمون جميعاً إن تهاونوا في طلبه والحصول عليه *

(١) جاء في رسائل اخوان الصفا (الرسالة الأولى في العدد) ان العدد كله آحاده وعشرات ومئاته وألوفه أو مازاد بالغاً ما بلغ فأصلها كلها من الواحد الى الأربعة وهي هذه (١ ٢ ٣ ٤) وذلك أن سائر الأعداد كلها من هذه يتركب ومنها ينشأ وهي اصل فيها كلها . بيان ذلك أنه إذا أضيف واحد الى أربعة كانت خمسة وان أضيف اثنان الى أربعة كانت ستة وان أضيف ثلاثة الى أربعة كانت سبعة وان أضيف واحد وثلاثة الى أربعة كانت ثمانية وان أضيف اثنان وثلاثة الى أربعة كانت تسعة وان أضيف واحد واثنان وثلاثة الى أربعة كانت عشرة .
 هذا والتقسيم الرباعي شائع في الامور الطبيعية كالفصول الأربعة ، والجهات الأربع والأسابيع الأربعة في الشهر وغيرها *